﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: 21 - 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لِما قَبْلَهُما:

العلاقة بين العدل في الجزاء، والبشارة بالرَّحمة والرِّضوان، وعظيمِ العطاء

لـمَّا بَيَّنَ اللهُ ﷻ جَزاءَ أهلِ الإيمانِ المهاجرينَ المجاهدينَ، في قوله سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة: 20]؛ فَسَّر تعالى فَوْزَهُمْ وأوضَحَهُ بقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]، فهو سوف يشملهم برحمته، ويخصُّهم برضوانه، ويُدخلهم جنَّاته، خالدين فيها على الأبد، لأنَّ الله عنده الأجر العظيم، الذي لا نهاية لمداه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾: (الباءُ والشِّين والرَّاء): تدور اشتقاقاتُها على مَعْنَى ظُهورِ الشَّيء مَعَ حُسْنٍ وجَمال[3]، والفِعْلُ ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾: فِعْلٌ مضارِعٌ، مِنَ البِشارةِ - بكَسْرِ الباء -، وهي: كلُّ خبرِ صِدْقٍ تتغيَّر بَشرةُ الوجهِ بِهِ، وبِناءً على هذا؛ فإنَّ البِشارَةَ تُستعْمَل في الخَيْرِ والشَّرِّ، إلَّا أنَّها في الخَيْرِ أغلَبُ، وذهبَ بعضُ أهلِ العِلْمِ إلى أنَّ البِشارةَ هي الخَبَرُ السَّارُّ وحدَهُ، واستعمالُه في غيرِهِ هو ضربٌ من ضُروبِ التَّهَكُّم[4]، والبِشارَةُ في قوله ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾، مُسْتَعْمَلَةٌ في الخَيْرِ قَطْعًا؛ بِقَرينَةِ السِّياقِ واللَّحاق.

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/418.

(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/418، ولجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 261 (بتصرّف).

(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بشر).

(4) الشَّريف الجرجانيّ، التَّعريفات، ص: 45، والمُناويّ، التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف، ص: 78.

2) ﴿وَرِضۡوَٰنٖ﴾: (الرَّاءُ والضَّادُ والحرفُ المعتلُّ): تدلُّ تصاريفُهُ على ضِدِّ السُّخْطِ[1]، ومنه الرِّضا: خلافُ السُّخْطِ، والرِّضا مِنَ اللهِ سبحانَه صفةٌ فعليَّةٌ حقيقيَّةٌ، تتعلَّقُ بمشيئَتِهُ تعالى، والثَّوابُ دليلٌ على ثُبوتِ الرِّضا، وليس هو عَيْنَهُ[2]، و"يقال في لغة: رجلٌ مرضوٌّ عنه؛ لأنَّ الرِّضا في الأصل مِن بنات الواو، وشاهدُه الرِّضوان، وهو اسم موضوع مِنَ الرِّضا، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: 27]"[3]، والرِّضْوانُ – بكسر الرَّاءِ وضَمِّها – هو الرِّضا الكَثيرُ، وهو المرادُ في قول الله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ﴾، ولمَّا كانَ أَعْظَمُ الرِّضا رِضا اللهِ ﷻ؛ خُصَّ الرِّضْوانُ في القُرْآنِ الكريمِ بما كان منه سبحانَه[4].

3) ﴿نَعِيمٞ﴾: (النُّون والعَيْنُ والميمُ): تَدورُ تصريفاتُها على ترفٍّ وطِيْبِ عَيْشٍ وصلاحٍ[5]، ومنه النِّعْمَةُ: وهو ما يترفَّهُ به الإنْسان مِن مأكلٍ أو مَشْرَبٍ أو مَلْبَسٍ[6]، والنِّعْمَة: اليد والصَّنيعة والمنَّة، وما أُنْعِمَ به عليك[7]، "يقال: فلان واسع النِّعْمَة، أي: واسع المال، كما في الصّحاح. قال الرَّازيُّ: النِّعْمَة: المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير"[8]، والنَّعيمُ: الخَفْضُ والدَّعَةُ[9]، ويُرادُ به: النِّعْمَةُ الكَثيرَةُ[10]، وهو المرادُ في قوله تعالى: ﴿لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٞ﴾.

4) ﴿مُّقِيمٞ﴾: (القافُ والواوُ والميمُ): تدلُّ اشتقاقاتُها علَى انْتِصابِ شَيْءٍ إلى أَعْلَى على وجْهِ الثُّبوتِ، ومنه: قامَةُ الإنسانِ وقيامُهُ[11]، ويُطْلَقُ المُقيمُ على الأمْرِ الدَّائِمِ المُسْتَمِرِّ[12]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (رضي).
(2) حصَّة بنتُ عبد العزيز الصَّغير، إفراد أحاديث أسماء الله وصفاته: 3/282.
(3) الخليل، العين: 7/57.
(4) الرَّاغب، المفردات: (رضي).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نعم).
(6) ابن دريد، جمهرة اللُّغة: (نعم).
(7) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (نعم).
(8) الزّبيديّ، تاج العروس: (نعم).
(9) الخليل، العين: (نعم).
(10) الرَّاغب، المفردات: (نعم).
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (قوم).
(12) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/150.

ومنه قولُه تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾؛ فإنَّ معناهُ: الدَّائمُ الذي لا يزولُ ولا يَبْرَحُ[1]، قال الشَّاعر في جبلٍ يُسَمَّى عَسيبًا، وفيه كناية عنِ الثُّبوت والانتصاب، وعدمِ التَّحوُّل:

أَجَارَتَنَا إنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ *** وإنِّي مُقِيمٌ ما أَقَامَ عَسِيبُ[2]

5) ﴿خَٰلِدِينَ﴾: (الخاءُ واللَّامُ والدَّالُ): تدلُّ تَصْريفاتُها على الثَّبات والمُلازَمَة[3]، ومنه الخُلْدُ والخلودُ، وهو البَقاء والدَّوام، وهو في الأَصْلِ: المُكْثُ الطَّويل، ولا يَلزَمُ منه الدَّوامُ، ولذا يُقيَّدُ في مواضِعَ بِالتَّأبيدِ، مِن بابِ التَّمْييز لا التَّأكيد[4]، كالوارد في قوله سبحانَه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النّساء: 57]، والخُلْد: مِن أسماء الجِنان، والخُلود: البقاء فيها، وهم فيها خالدون ومخَّلدون[5]، ودارُ الخُلْد: دار الإقامة، وقد خَلَدَ يَخْلُد خُلْدًا وخُلودًا، فهو خالدٌ: إذا أقام فلم يَبْرَحْ[6]، وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧﴾ [الواقعة: 17]، معناه: باقون، دائِمٌ شبابُهُم، لا يَتغيَّرون عن تلك السِّنِّ[7].

6) ﴿أَجْرٌ﴾: (الهَمْزَةُ والجيم والرَّاءُ): تدورُ تَصاريفُها على معنى: الكِراء على العَمَل، وجَبْرِ العَظْم الكَسير، وبينَ هذَين المَعْنَيَيْن نِظامٌ يَجْمَعُهما؛ وذلكَ أنَّ الأُجرةَ بمنزلةِ الشَّيءِ الذي تُجبَرُ بها حالُ العاملِ، مقابِلَ ما أصابَهُ مِن كَدٍّ وجُهْدٍ في عَمَلِه[8]، والأَجْرُ: ما يعود مِن ثواب العمَلِ دُنيَويًّا كان أو أُخرويًّا، ولا يُستعمَلُ إلَّا في النَّفْعِ دونَ الضُّرِّ[9]، والأَجْرُ في قولِ اللهِ سبحانَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، هو ثَوابُ العمَلِ الأُخرَويُّ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُبَشِّرُ اللهُ تعالى هؤلاءِ الذينَ آمَنوا وهاجَروا وجاهَدوا في سَبيلِه، أنَّهُ قَدْ رَحِمَهُمْ رحمةً

(1) الواحديّ، التَّفسير البسيط: 10/340.
(2) ابن دريد الأزديّ، جمهرة اللُّغة: (عسب)، والبيت لامرئ القيس بن حجر، وقد ورد هذا البيت مع بيتٍ ثانٍ لامرئ القيس، ينظر: ديوان امرئ القيس، ص: 357، والأنباريّ، الزَّاهر في معاني كلمات النّاس: 2/175.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلد).
(4) أبو البقاء الكفويّ، الكلِّيَّات، ص: 434، وابن القيِّم، شفاء العليل، ص: 257، وابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطيَّة: 1/265.
(5) الخليل، العين: (خلد).
(6) كُرَاع النَّمل، المُنَجَّد في اللُّغة، ص: 78.
(7) الأنباريّ، الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس: 2/83.
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أجر).
(9) الرَّاغب، المفردات: (أجر).

واسعةً، وأنَّه قَد رَضيَ عَنْهُمْ رِضْوانًا لا سخطَ بعْدَهُ، بسببِ طاعَتِهم إيَّاهُ، ويُبشِّرُهُمْ - أيضًا - بجنَّاتٍ فيها نعيمٌ عظيمٌ لا يَزولُ ولا يَبيدُ، وهُمْ ماكِثونَ في هذه الجِنانِ مُكوثًا دائمًا لا نهايةَ لَهُ، إنَّ اللَّه سبحانَه عِنْدَهُ لهؤلاءِ المؤمنينَ ثَوابٌ جزيلٌ عظيمٌ في الآخِرَةِ[1].

مَنْ قدَّم مرضاةَ اللهِ في دنياه، نـال البُـشـرى بالنَّعيم الخالدِ في أُخْراه

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ قولِه: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ عمَّا قبلَه:

فُصِلَ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ عمَّا قبلَهُ؛ لوقوعِهِ بيانًا لَهُ، وذلك أنَّ اللَّه تعالى لـمَّا قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾ [التّوبة: 20]؛ بيَّنَ في الآية بعدَها تلك الدَّرجةَ العظيمَةَ، وهي عنايَتُهُ سبحانَه بعبادِهِ، بإدخالِ السُّرورِ عليهم، وتحقيقِ فوزِهم، وإحلالِهِ رَحْمَتَهُ بِهِم، ورضْوانَهُ عَلَيْهِم، وما أعدَّ لَهُمْ مِنَ النَّعيمِ الذي لا انقطاعَ فيهِ بوجهٍ مِنَ الوجوهِ، وعلى هذا يكون بينَ الجُمْلَتينِ كمالُ الاتِّصال؛ ولوقوعِ هذه الجملة بيانًا للجملةِ التي قبلَها[2].

عظيمُ عِنايَةِ اللهِ سبحانَه بعبادِهِ المؤمنينَ، تُحيط بهم في كلِّ حين

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بالفعلِ المضارعِ:

وقعَ التَّعبيرُ عنِ التَّبشيرِ ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ بصيغَةِ المضارعِ، من قولِ اللهِ سبحانَه: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾؛ لإفادةِ التَّجدُّدِ، وذلك مشْعِرٌ بتجدُّدِ الخَيْراتِ وتعاقُبِ المسرَّاتِ عليهم؛ إذْ إنَّ تجدُّدَ البشارَةِ دالٌّ على أنَّ ما يُبشَّرونَ بهِ أمرٌ لَمْ يكُنْ معلومًا لهُمْ، وإلَّا لكانَ الإخبارُ به مِن بابِ تحصيلِ الحاصلِ[3]، وهو تعالى "يخبرهم بالنِّهاية السَّارَّة التي سوف يصلون إليها، ليتحمَّلوا مَشَقَّة التَّكاليف

تَجَدُّدُ الخَيْراتِ وتَعاقُبُ المَسَرَّاتِ على أَهْلِ الإيمانِ في الآخِرَةِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/174 - 175، ونخبة مِنَ العلماء، التَّفسير الميسَّر، ص: 190.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/149.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/149.

التي يأمرهم بها المنهجُ"[1]، وهذه المسألة تُعَجِّل بها البشارةُ وتتجدَّد؛ لتطمَئِنَّ قلوبُ المؤمنين على مصائرهم، فتتوالى لهم البُشْرى في الحياة الدُّنيا ويومَ يقوم الأشهاد، وهذا لطفٌ مِنَ اللّه، وكَرَمٌ منه على عباده الصَّالحين.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بالبِشارَةِ:

البِشارَةُ مِنَ الله عطاءٌ لا ينتهي، وجزاءٌ لا ينقضي

التَّعبيرُ بالبِشارَةِ في قولِ اللّهِ ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ دونَ الإخبارِ بعينها وتحديدِ معالمها، معَ أنَّ ما وُعِدُوهُ قد عَرَفوه في الدُّنيا مِنَ القُرْآنِ الكريم، وممَّا أخبرَهُمْ به رسولُ اللّهِ ﷺ؛ لِكَوْنِ البِشاراتِ التي عَلِموها كانت على جِهَةِ الإجمالِ، وما كان منها مُفَصَّلًا لَمْ يكُنْ مُسْتَوعِبًا لجميعِ ما يُعْطَوْنَهُ في الجنَّةِ، فقد قال النَّبيُّ ﷺ فيما يرْويه عن ربِّهِ ﷻ: «أَعْدَدْتُ لِعِبادي الصّالِحينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ»[2]، فيكونُ التَّبشيرُ الواردُ في الآيةِ، إنَّما هو الإخبارُ بحصولِ مرتبَةٍ مِن مراتبِ السَّعاداتِ التي لَمْ يَعرِفوها قَبْلُ، والبِشارَةُ عَن أُمورٍ لا تَصِلُ العقولُ إلى وصفِها، وفي هذا: إشعارٌ بعظيمِ جزائِهِم عند اللّهِ تعالى[3].

توجيه قراءة: (يَبْشُرُهُم)، وأثرُها في المعنى:

خِفَّةُ البِشارَةِ وفُجاأَتُها، مُتلائِمٌ معَ وَقْعِها في النُّفوس

قرأ حمزةُ: (يَبْشُرُهُم) بفتح الياء، وضَمِّ الشِّين[4]، مِن بَشَر يَبْشُر، أي: أخبرهم بما يَسُرُّهم، وفاجأَهُم بما أَعَدَّه لهم، ممَّا لم يخطُر لهم على بال؛ وتخفيفُ الفعلِ هنا - وإن كان لغةً مِن لُغات العرب - يُشير إلى اختصاصهم بتلك البِشارَة، المشتملةِ على المفاجأة، والتَّضْعيفُ في (يُبَشِّر) مِنَ التَّضْعيفِ الدَّالِّ على التَّكْثيرِ، فيما قال بعضُهم، ولا يَتَأَتَّى التَّكْثيرُ فيه إلَّا بالنِّسْبَةِ إلى المفاعيلِ؛ لأنَّ البِشارَةَ أَوَّلُ خَبَرٍ

(1) الشَّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 8/4972.
(2) رواه البخاريُّ في صحيحه، برقم: 3244، ومسلم في صحيحه، برقم: 2824.
(3) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/16.
(4) ابن مجاهد، السَّبعة: ص 205، وابن الجزريّ، النَّشر: 2/239.

يَسُرُّ أو يُحْزِنُ على المختار، ولا يَتَأَتَّى التَّكْثِيرُ فيه بالنِّسْبَةِ إلى المفعولِ الوَاحِدِ؛ فبالنِّسْبَةِ إليهِ يكُونُ فِعْلٌ فيه مُغْنِيًا عن فِعْلٍ؛ لأنَّ الذي يَنْطِقُ به مُشَدَّدًا غيرُ العربِ الذينَ يَنْطِقُونَ به مُخَفَّفًا[1].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الرُّبوبيَّة:

عِنايَةُ اللهِ تعالى ورِعايَتُهُ لِأَهْلِ الإيمانِ، تربيةً لهم وإنعام

جاءَ التَّعبيرُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ باسمِ الرَّبِّ؛ وفيه مِنَ اللَّطافَةِ شَيءٌ عظيمٌ، وذلك أنَّ اسْمَ الرَّبِّ مُشتقٌّ مِنَ التَّربيَةِ، ومعناها يرجعُ إلى تدبيرِ المربوبِ والرِّفْقِ به واللُّطْفِ، فكأنَّهُ قال: إنَّ الذي اعْتَنَى بكُمْ، وربَّاكُم في الدُّنيا بالنِّعَمِ التي لا حدَّ لها ولا حصْر؛ يُبشِّرُكُم بخيراتٍ عظيمةٍ، وسعاداتٍ غيرِ متناهيةٍ[2].

دِلالَةُ الإضافَةِ في لفظ ﴿رَبُّهُم﴾:

تَشْريفُ اللهِ تعالى لأَهْلِ الإيمانِ، بما حبَاهم مِن رحمة ورضوان

أُضيفَ اسْمُ الرَّبِّ إلى الضَّميرِ الرَّاجعِ إلى المؤمنين، في قولِ اللهِ سبحانَه: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾؛ لإرادَةِ تشريفِهِمْ وتكريمِهِم، ففي الإضافة تشريفٌ للمضاف إليه، وهو يقول في هذا المضمار، مُذَكِّرًا بما أنعم عليهم: "وهؤلاءِ يبشِّرهم اللهُ تعالى برحمته الواسعة التي تشملهم، ويخصُّهم برضاه، وهو أكبر جزاء، وسيدخلهم يوم القيامة جنَّاتٍ لهم فيها نعيمٌ قائمٌ ثابتٌ دائم"[3].

نُكْتَةُ تقديمِ ذِكْرِ المؤمنينَ على ذِكْرِ اللهِ تعالى:

إظهارُ كَرامَةِ أهلِ الإيمانِ، وبيانُ مكانتِهم المرموقة عند الرَّحمن

نُظِمَتِ الآيَةُ الكريمةُ على وجْهٍ قُدِّمَ فيها ذِكْرُ المؤمنينَ على ذِكْرِ اللهِ تعالى، فقال سبحانَه: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾، دونَ أَنْ يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (ربُّهُم يُبَشِّرُهُم)، وفي ذلك مزيدُ إظهارِ كرامَةِ أهلِ الإيمانِ عند اللهِ[4] ﷻ.

---

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/180.

(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/16، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/263، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/149.

(3) إبراهيم الأبياريّ، الموسوعة القرآنيَّة: 10/13.

(4) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/16.

إيثار التَّعبير بلفظ (رحمة)، ومناسبتُه للسِّياق:

أُوثِرَ التَّعبير بالرَّحمة في قوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾، للدّلالة على طمأنَة قلوبِهم بأعظمِ نعمةٍ، وأنسبِ مكافأةٍ، فيها سكنُهُم وإصلاحُ بالهم، جزاءَ إيمانهم وهِجْرتهم وجهادهم في سبيل الله، ورحْمَتُه بعبده: أن يزيلَ عن قَلْبِهِ الالْتِفَاتَ إلى غير هذه الحالةِ، ويجعلَه راضيًا بِقَضَائِهِ[1]؛ لأنَّ الرَّحمة ضِدُّ الشَّقاء، وهي وحدَها نعمةٌ؛ لأنَّ الخروج مِنَ الضَّلال إلى الهدى، والشُّعورَ بالحقِّ، وأنَّه اهتَدَى إليه وخرجَ مِنَ الضَّلال إلى نُور الهداية، هو وحدَه رحمةٌ ونعمةٌ، فأوَّلُ جزاءٍ للمؤمن ما يأخذه مِنَ الإيمان نفسِه، فيَشعرُ باستقرارٍ لَا اضطرابَ فيه[2].

البُشرى بالرَّحمة كَقَطْر النَّدى على الزَّهْرة الظَّمأى

سِرُّ تَنْكِير لفظ (رَحْمَةٍ):

نُكِّرَ لَفْظُ (رَحْمَةٍ) مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾؛ لإظْهارِ عَظَمَتِها[3]، والمَعْنَى: يُبشِّرُهُمْ ربُّهُمْ برحمةٍ لا يبلُغُها وصفُ واصفٍ، وزادَها تعظيمًا بيانُ مصْدَرِها، وأنَّها رحمَةٌ من عِنْدِه[4]، فقال سبحانَه: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾، وناهيكَ برحْمَةٍ صادِرَةٍ من ربِّ العِزَّةِ والجَلالِ!.

عَظَمَةُ الرَّبِّ ﷻ وعَظَمَةُ أَوْصافِهِ، دلائلُ على هَيْمَنَتِه وكمالِه

و"هؤلاءِ الذين جمعوا الصِّفاتِ الحميدةَ، يبشِّرهم اللهُ تعالى برحمته الواسعة التي تشملهم، ورضوانٍ كامل مِن لدنْه، وهو أكبر جزاءٍ، وسيُدخلهم يومَ القيامة جنَّاتٍ، لهم فيها نعيمٌ ثابتٌ دائم"[5].

نُكْتَةُ تَنْكِير (رِضْوانٍ):

نُكِّرَ (رِضْوان) مِن قول الله ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾، للدّلالَةِ على تَفْخيمِه وتعظيمِه، فهو رضْوانٌ عظيمٌ،

رِضْوانُ اللهِ تَعالَى الأسمى، أَعْظَمُ مِن كُلِّ ثَوابٍ مادِّيٍّ وأَرْضَى

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/16.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/3259.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/390.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/418.
(5) إبراهيم القطَّان، تيسير التَّفسير: 2/125.

لا يُدْرَكُ كُنْهُهُ، ولا مُنْتَهى لحُسْنِهِ، وذلك لأنَّ الرِّضْوانَ مِنَ اللهِ سبحانَه أعظمُ مِن كلِّ جزاءٍ مادِّيٍّ، ولذا قال اللهُ ﷻ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التّوبة: 72][1].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالرِّضْوانِ:

عَظَمَةُ الرِّضا الحاصلِ لأَهْلِ الإيمانِ مِنَ اللهِ في الآخِرَةِ

في التَّعبير بالرِّضْوانِ في قول اللهِ ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ دونَ الرِّضا، دلالَةٌ على عظيم الرِّضا الذي يقَعُ عليهِمْ؛ وذلكَ أنَّ الرِّضْوانَ: هو الرِّضا الشَّديدُ الكاملُ، كما تُشْعِرُ بذلك الصِّيغةُ التي بُنيَت عليها الكَلِمَةُ، فإنَّها تدلُّ على المبالغَةِ، مِثْلُ: العِصْيانِ، وكذا الشُّكْران والغُفْران[2]؛ إذْ في الرِّضْوانِ لغتانِ: كَسْرُ الرَّاءِ (قرأ بها الجمهورُ)، وضَمُّها (قرأ بها شُعبةُ عن عاصمٍ)[3].

سِرُّ تقديمِ الرَّحْمَةِ على الرِّضْوانِ:

الرِّضْوانُ وَصْفٌ خاصٌّ حاصِلٌ لِلْكُمَّلِ مِنَ المُؤْمِنينَ، والرَّحمةُ عامَّة لهم

بُدِئَ بالرَّحْمَةِ قَبْلَ الرِّضْوانِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾؛ لكَوْنِ الرَّحمةِ الوصفَ الأعَمَّ الحاصِلَ لأهل الإيمانِ، والرِّضوانِ الوصفَ الأخَصَّ الحاصِلَ لِلْكُمَّلِ مِنْهُمْ، فكان في ذِكْرِ الرِّضْوانِ بَعْدَ الرَّحْمَةِ تَرَقٍّ بهذا الاعتبارِ.

دلالَةُ تَنْكيرِ (جَنَّاتٍ):

الجَزاءُ الصَّادِرُ مِنَ اللهِ تعالى بالِغٌ في الفَخامَةِ والعَظَمَةِ مَبْلَغًا لا يُقادَرُ قَدْرُهُ

نُكِّرَتْ كَلِمَةُ (جنَّاتٍ) من قولِ اللهِ سبحانَه: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾؛ لوقوع المبشر به وراء صفةِ الواصف، وتعريفِ المعرِّف[4]، ولإرادَةِ التَّعظيم والتَّفخيم، وذلكَ لقرائنَ ثلاثٍ[5]: أوَّلُها: سياقُ الآيةِ الدَّالُّ على عظيمِ المِنَّةِ بالمذكورات. وثانيها: قولُهُ سبحانَه: ﴿مِّنْهُ﴾؛ فإنَّه مُصَرَّحٌ بهِ معَ الرَّحْمَةِ، ومقدَّرٌ معَ الرِّضْوانِ والجنَّاتِ، والتَّقديرُ: برحمةٍ مِنْهُ،

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/3259.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/149.
(3) ابن الجزريّ، النَّشر في القراءات العشر: 2/238.
(4) النَّسفيّ، مدارك التَّنزيل وحقائق التَّأويل: 1/671.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/150.

ورضوانٍ مِنْهُ، وجنَّاتٍ مِنْهُ، وحسْبُكَ بالجزاءِ الصَّادِرِ مِنَ اللهِ ﷻ. وثالثُها: كَوْنُ الجنَّاتِ مذكورةً في سياقِ الأشياءِ المبشَّرِ بها. فهذه القرائنُ الثَّلاثُ تقتضي أن يكونَ تنكيرُ (جَنّاتٍ) دالًّا على التَّفخيم والتَّعظيم.

سِرُّ جَمْعِ (جَنّاتٍ):

تَـفـاوُتُ الـجـزاءِ بحسَبِ تَفاوُتِ الأَعْـمـالِ، يَنمُّ عن سعة عطاء ذي الجلال

جُمِعَتِ الجنَّاتُ في قول الله ﷻ: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾؛ إشعارًا بكَثْرَتِها وتعدُّدِها؛ فإنَّ في الآخرةِ جنَّاتٍ متنوِّعَةً بحسبِ أعمالِ العاملينَ ودَرَجاتِهم، والجنَّاتُ الموصوفةُ باحتوائها على النَّعيم المقيم، تحوي "من كلِّ ما اشتهَتْهُ الأنفسُ، وتَلَذُّ الأعينُ، ممَّا لا يعلم وَصْفَه ومِقْداره إلَّا اللهُ تعالى"[1].

دلالَةُ تقديمِ ما حقّه التأخير:

كُـلُّ نَـعـيـمٍ آيِـلٌ إلى الـفَـنـاءِ إلَّا نَـعـيـمَ الـجَـنَّـةِ، فَإِنَّهُ باقٍ لا يزول

في قول اللهِ ﷻ: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ تقديمُ ما حَقُّهُ التَّأخيرُ من وجهين؛ أحدهما: ﴿لَّهُمْ﴾، والآخَرُ: ﴿فِيهَا﴾، وذلك أنَّ أصلَ التَّركيبِ: (نعيمٌ مقيمٌ فيها لَهُمْ)، فأمَّا تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿لَّهُمْ﴾؛ فَلإرادةِ الحَصْرِ والقَصْرِ، أي: أنَّ الجنَّاتِ المشْتَمِلَةَ على النَّعيم المقيم، خاصَّةٌ بأهلِ الإيمانِ المهاجرين المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ تعالى، وهذا قصرٌ غيرُ حقيقيٍّ؛ لأنَّ مَن لم يهاجِرْ ويجاهِدْ من أهلِ الإيمانِ موعودٌ - أيضًا - بالجنَّةِ، إلَّا أنَّ درجتَهُ أَدْنَى من درجَةِ المهاجرِ المجاهِدِ، فكان القصْرُ في قولِ اللهِ جلَّ وعلَا: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ قَصْرًا غيرَ حقيقيٍّ، وصِيْغَ جزاؤُهم وثوابُهُمْ بطريقَةِ الحصْرِ؛ للإيماءِ إلى عظيمِ هذا الثَّوابِ، واختصاصِهِمْ بأعلاهُ، وأمَّا تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿فِيهَا﴾؛ فَلِقَصْدِ القَصْرِ أيضًا، مِنْ جِهَةِ أنَّ النَّعيمَ الدَّائمَ لا يكونُ إلَّا في الجنَّةِ، وأمَّا نعيمُ الدُّنيا فآيِلٌ إلى الزَّوالِ، كما قال اللهُ ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرَّحمن: 26]، وكما قال لَبيدُ بنُ ربيعةَ العامريُّ رضي الله عنه:

(1) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 332.

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللّهَ باطِلُ *** وكُلُّ نَعيمٍ لا مَحالَةَ زائِلُ[1]

أي: مِنْ نعيمِ الدُّنيا.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ لفظ ﴿نَعِيمٌ﴾:

خُـلـوصُ نَـعـيـمِ الجَنَّةِ عن كُلِّ ما يُكَدِّرُ صَفْوَهُ

نُكِّرَ لَفْظُ ﴿نَعِيمٌ﴾، مِن قول اللّهِ تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾؛ لإرادَةِ التَّعظيم والتَّفخيم، والمرادُ: لهُمْ في الجنَّةِ نعيمٌ عظيمٌ، فَخْمٌ خالِصٌ عَنْ كُلِّ ما يُكَدِّره[2]، "وهنا يريد الحقُّ ﷻ، أن يلفتنا إلى أنَّ جنَّة الآخرة، ليس فيها مُنغِّصاتُ الدُّنيا، بل هي صفاءٌ واستمتاع، يعطي فيها الحقُّ ﷻ لعبده ما تشتهيه نفسُه، ويُبْعِد عنه جميعَ المنغِّصات، وقد يخاف الإنسانُ ألَّا يدوم مثلُ هذا النَّعيم؛ لذلك يُطَمْئِن الحقُّ العبدَ المؤمن أنَّه ﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾"[3].

دلالَةُ وَصْفِ النَّعيمِ بِكَوْنِهِ مُقيمًا:

بِشارَةُ اللهِ تعالى لِأَهْـلِ الإيـمـانِ، بِـالـنَّـعـيـمِ العَظيمِ الدَّائمِ الامتنان

وُصِفَ النَّعيمُ بِكَوْنِهِ مُقيمًا في قول اللّهِ ﷻ: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾، تَطْمينًا لقلوبِ عبادِهِ المؤمنينَ، فإنَّ ما عرفوهُ مِنَ النَّعيم الدُّنيَويِّ، صائِرٌ إلى الزَّوال، فقَدْ يقَعُ في الوَهْم أنَّ نعيمَ الجنَّةِ كذلكَ؛ فدُفِعَ ذلكَ بقوله: ﴿مُّقِيمٌ﴾؛ للدّلالةِ على دوامِهِ، وعَدَمِ انقطاعِهِ عَنْهُمْ. وقد عُبِّر عن دوامِ النَّعيم بثلاثِ عباراتٍ: أوَّلُها: ﴿مُّقِيمٌ﴾؛ فإنَّ معناهُ هنا: الدَّائمُ المستمرُّ الذي لا انقطاعَ لَهُ. وثانيها: وصفُ أهلِ الإيمانِ بالخلودِ في الجَنَّةِ، بقولِهِ سبحانَه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، وذلكَ يقتضي خلودَهُم في النَّعيم؛ إذِ النَّعيمُ ملازِمٌ لِلجنَّةِ. وثالثُها: التَّنصيصُ على الأبديَّةِ في قولِهِ: ﴿أَبَدًا﴾. فكان مجموعُ ذلك مقتضيًا أنَّ اللّهَ ﷻ يبشِّرُ هؤلاءِ المؤمنينَ المهاجرينَ المجاهدين في سَبيلِهِ، بالنِّعَمِ الخالِصَةِ الدَّائمَةِ، المقرونَةِ بالتَّفخيمِ والتَّعظيم[4].

(1) لبيد بن ربيعة، ديوان لبيد بن ربيعة، ص: 132.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 8/419.
(3) الشَّعراويّ، تفسير الشّعراوي: 8/4976.
(4) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/15.

بَلاغَةُ الإسْتِعارَة:

في قول الله ﷻ: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ استعارَةٌ؛ وذلك أنَّ الإقامة: هي جَعْلُ الشَّيءِ قائمًا، والقيامُ في الأصلِ: انتصابُ شيءٍ إلى أعْلَى، على وجْهِ الثُّبوتِ[1]، ثُمَّ استُعيرَ ذلكَ للْأَمْرِ المسْتَمِرِّ[2]؛ تصويرًا للدَّوامِ - وهو معنويٌّ - في صورة الأمْرِ المنتَصِبِ - وهو حسِّيٌّ - وذلك أعلَقُ بالذِّهْنِ والنَّفس، وأقربُ إلى الفَهْمِ والإدْراكِ.

إبْرازُ المَعْنَويِّ في صورةِ المَحْسوسِ أقربُ إلى الفَهْمِ وأعلقُ بالنُّفوس

بَلاغَةُ أُسْلوبِ التَّدَلِّي مِنَ الأعلى إلى الأدنى:

اشتَمَلَ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾، علَى ضُروبٍ مِنَ الدَّرجاتِ العاليَةِ، رُتِّبَتْ بَدْءًا مِنَ الأَعْلَى فما بَعْدَهُ في الرُّتْبَةِ، وهي على النَّحْوِ الآتي: أوَّلُها: كون تلكَ البِشارةِ حاصلةً مِنَ اللهِ تعالى بالرَّحْمَةِ والرِّضْوانِ[3]، وهذا تعظيمٌ وإجلالٌ مِنَ اللهِ سُبحانَهُ. وثانيها: ذِكْرُ كَوْنِ الجنَّاتِ لَهُمْ؛ فيه إيماءٌ إلى حصولِ المنافِعِ العظيمَةِ لَهُمْ. وثالثُها: التَّنصيصُ على ما فيها مِنَ النَّعيمِ إشارَةٌ إلى كَوْنِ المنافِعِ خالصةً عنْ أيِّ مُكدِّرٍ[4]، وفي البَدْءِ بأعْلَى الجزاءِ تعجيلٌ لأعْلَى المسَرّاتِ لَهُمْ، وهوَ ملائمٌ لسياقِ البشارَةِ.

حيازة الرَّحمة والرِّضوان، أعْلَى مَسَرَّاتِ أهْلِ الجنان

بلاغة أسلوب اللَّفِّ والنَّشْرِ:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾، لَفٌّ ونشْرٌ غيرُ مُرتَّبٍ؛ وذلك لأنَّ اللهَ سبحانَه، وصفَ المؤمنينَ بثلاثِ صفاتٍ في قوله جلَّ وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾، وهذه الصِّفاتُ

الجزاءُ مِن جِنْسِ العَمَلِ، ويتنوَّع الجزاءُ بتنوُّعِ الأعمال

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (قوم).
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/150.
(3) أسلوب التَّدلّي في الآيَةِ هو بالنَّظر إلى أنَّ الرَّحمةَ والرِّضوانَ مرتبَةٌ واحدةٌ مِن مراتبِ البِشاراتِ، أمَّا إذا نُظِرَ إلى الرَّحمةِ والرِّضْوانِ علَى أنَّهما أمرانِ متباينانِ مبَشَّرٌ بهما؛ فبينَهُما ترَقٍّ - كما تقدَّمَ.
(4) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 16/15.

هي: الإيمانُ، والهِجْرَةُ، والجهادُ في سبيلِ اللهِ تعالَى بالمالِ والنَّفْسِ، وقَدْ قوبِلَت هذه الأوصافُ الجليلَةُ بالثَّوابِ الجليلِ، فبُدِئَ بالرَّحْمَةِ في مقابلَةِ الإيمانِ؛ لتوقُّفِها عليه، ولكونِها أعمَّ النِّعَمِ وأَسْبَقَها، كما أنَّ الإيمانَ هو السَّابقُ، وثُنِّيَ بالرِّضْوانِ في مقابلة الجهادِ الذي فيه بَذْلُ المالِ والنَّفْسِ، وثُلِّثَ بالجنَّاتِ في مقابَلَةِ الهِجْرَةِ، وذلكَ أنَّهم لمَّا تركوا أوطانَهُمْ، أبْدَلَهُمُ اللهُ تعالى بدارِ الكُفْرِ جنَّاتٍ مشتملةً على نعيمٍ مقيمٍ[1]، يهنأ به أهلُه دونَ انقطاعٍ مُفسد، ولا تنغيصٍ مُقْلِق، فكان ما تقدَّم لفًّا ونشْرًا غيرَ مرتَّبٍ[2]؛ لأنَّ النَّشْرَ لَمْ يَرِدْ على ترتيبِ اللَّفِّ، ولَمْ يقَعِ التَّعيينُ؛ ثِقَةً بأنَّ السَّامع يُمَيِّزُ ما لِكُلِّ واحدٍ مِنْها، فَيَرُدُّه إلَى ما هوَ لَهُ[3].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالخلودِ:

التَّصْريحُ بِما فيه طَمْأنَةُ أَهْلِ الإيمانِ، مِن لطف الله ذي الإحسان

عُبِّرَ بالخلودِ في قوله سبحانَه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، بعدَ التَّعبيرِ عنِ النَّعيمِ بكونِهِ مقيمًا، في قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾، وذلك دالٌّ على الدَّوامِ أيضًا؛ ليكونَ التَّصريحُ بلَفْظِ الخُلودِ أَقَرَّ للنَّفْسِ[4]، و"الخلودُ نعمةٌ فوق نعمة الجنَّة ذاتِها، فإنَّ الإحساس بدوام النِّعمة نعمةٌ، وليس في مقابل الدُّنيا الفانية"[5].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بلفظ ﴿أَبَدًا﴾:

الإحساسُ بِدَوامِ النِّعْمَةِ نِعْمَةٌ في قِمَّة النِّعمة

في التَّنصيص على التَّأبيدِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، تأكيدٌ للخُلودِ؛ زيادةً في توضيح المرادِ مِنْهُ، ودَفْعًا لما قَدْ يُتَوَهَّمُ مِن

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 5/264.

(2) قال أبو حيَّان: "لما كانت الأوصاف التي تحلَّوا بها وصاروا بها عَبيدَه حقيقةً هي ثلاثة: الإيمان، والهجرة، والجهاد بالمال والنفس، قوبلوا في التبشير بثلاثة: الرّحمة، والرضوان، والجنّات. فبدأ بالرحمة لأنّها الوصف الأعمُّ الناشئ عنها تيسير الإيمان لهم، وثنّى بالرضوان لأنه الغاية من إحسان الرّبّ لِعَبده، وهو مقابل الجهاد، إذ هو بذل النفس والمال، وقُدِّم على الجنّاتِ لأنّ رضا الله عن العبد أفضلُ من إسكانهم الجَنَّةَ". ينظر: أبو حيّان، البحر المحيط: 5/389 - 390.

(3) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 10/306 - 307.

(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/419.

(5) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/3259.

أنَّ لفظَ الخلودِ يُقْصَدُ بِهِ الْمُكْثُ الطَّويلُ[1]، فكانَ ذِكْرُ التَّأْبيدِ بمنزلَةِ الاحتراسِ، والمبالغَةُ في إثباتِ الدَّوامِ لنعيمِ الجنَّةِ إنْعامٌ آخَرُ؛ وذلكَ لأنَّ الإحساسَ بدوامِ النِّعْمَةِ نِعْمَةٌ[2]، وذِكْرُ التَّأبيدِ بعد الخلود، يتَّفق وعِظَمَ البُشرى مِنَ اللّه تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾، فذِكْرُ التَّأبيدِ زيادةُ تكريم؛ ولأنَّه ذَكَر لهم أعمالًا عظيمة؛ كالإيمان والهجرة والجهاد، كما أنَّ في ذِكْرِ التَّأبيد تعريضًا بالمنافقين المُتعلِّقين بحبال الدُّنيا الزَّائلة، ففيه إشارةٌ لطيفةٌ إلى خُسْران هؤلاء المنافقين؛ إذ إنَّهم آثَروا الحياة الدُّنيا على الآخرة.

عِلَّةُ فَصْلِ قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

جَزاءُ اللهِ تَعالى لِأَهْلِ الإيمانِ وتَكْريمُهُ لَهُمْ لا مُنْتَهَى لَهُ

فُصِلَ قولُ اللّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ عمَّا قَبْلَهُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا، إيذانًا مِنَ اللّه تعالى بمزيد كَرمِهِ وجزيلِ جزائِهِ لأهلِ الإيمانِ، وجملَةُ الاستئنافِ واقعَةٌ أيضًا تعليلًا لما تقدَّمَها[3]، ومعناه: "لا قَدْرَ عندَه لأُجور الدُّنيا، أو للأعمال التي في مقابلته"[4].

سِرُّ تَعْريفِ المُسْنَدِ إليه بِالْعَلَميَّةِ:

عِظَمُ الجَزاءِ والثَّوابِ عند اللهِ تعالى، ممَّا تَقَرُّ به أعينُ المؤمنين

جاءَ المسنَدُ إليه (اللّه) معرَّفًا بالعلميَّةِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ للإشْعارِ بجليل الثَّوابِ والجزاءِ عند اللّه تعالى، وذلك لأنَّ الاسْمَ الأحْسَنَ (اللّه) جامعٌ لصفات الجلال والجمال والكمال، وذلك مُشْعِرٌ بعظمَةِ ما يُضافُ إليه سبحانَه، وأُكِّدَ ذلك بـ (إنَّ) واسميَّةِ الجُمْلَةِ؛ زيادَةً في تَقْويَةِ هذا المعنى وتوثيقِهِ، و"لا تُسْتَغربُ كثرتُهُ على فضل اللّه، ولا يُتعَجَّبُ من عِظَمِه وحُسْنه، على مَن يقول للشَّيء: (كُنْ فيكون)"[5].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/53، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/264.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/3259.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/419، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/53.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/53.
(5) السَّعديّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 332.

دلالَةُ تَقْديمِ ﴿عِندَهُۥٓ﴾ في الآية:

اخْتِصاصُ اللهِ ﷻ بِالأَجْرِ العَظيمِ؛ لعدم إمكانيَّة ذلك مِن سواه

قُدِّمَ الظَّرْفُ ﴿عِندَهُۥٓ﴾ في قول اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ لإفادَةِ القَصْرِ والاختصاصِ، فالأَجْرُ العظيمُ عند اللهِ تعالى لا عند غَيْرِهِ، وما يُعَظِّمُهُ النَّاسُ مِنَ الأجور الدُّنيويَّةِ عند الخَلْقِ، إنَّما هو مِنْهُم تعظيمٌ لِغَيْرِ عظيمٍ، والأَجْرُ العظيمُ على الحقيقَةِ عِنْدَ اللهِ سبحانَه لا غير.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ لفظ ﴿أَجْرٌ﴾:

الأُجور عند اللهِ تعالى بقدر عَظَمَة المعطي، لا بقدر حاجة الطَّالب

نُكِّرَتْ كَلِمَةُ ﴿أَجْرٌ﴾ من قول اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، للدّلالَةِ على تفخيمِه وتعظيمِه، فهو أَجْرٌ عظيمٌ لا تُدْرَكُ حقيقتُه، ولا تُحيطُ به عقولُ أهل الدُّنيا، ولا قَدْرَ عِنْدَهُ لِلْأُجورِ الدُّنيويَّةِ أو الأعمالِ التي في مقابَلَتِهِ[1].

سِرُّ وصْفِ الأَجْرِ بِالعَظَمَةِ:

اجْتِماعُ العِظَمِ الذَّاتيِّ والعِظَمِ الإضافيِّ في الأَجْرِ الموعود

وُصِفَ الأجرُ بالعَظَمةِ في قول اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ مُبالغَةً في تعظيمِ هذا الأَجْرِ وتفخيمِه، وحَسْبُكَ بما يصِفُهُ العظيمُ ﷻ بالعِظَمِ[2]، فاجتَمَع في هذا الأَجْرِ العِظَمُ الذَّاتيُّ المستفادُ من تنكيرِ الكلمَةِ، والعِظَمُ الإضافيُّ المستفادُ من وصْفِهِ بالعظَمَةِ، فَيَكونُ وَصْفُ الأَجْرِ بالعظَمَةِ بِمَنْزِلَةِ التَّوكيدِ المَعْنَويِّ له.

بلاغة التَّذْييلِ:

الحَثُّ على الازْديادِ مِنَ الأَعْمالِ المرضيَّةِ؛ لِتَحْصيلِ الدَّرَجاتِ العليّةِ

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، تذييلٌ جارٍ مجْرَى المثَلِ؛ لاستقلالِهِ بالإفادَةِ، وعدمِ افتقارِهِ إلى ما قَبْلَهُ، في إدْراكِ تمامِ المرادِ منه، والمرادُ بالتَّذْييلِ: التَّنويهُ بشَأْنِ المؤمنينَ المهاجرينَ المجاهدينَ؛ وذلك لأنَّ مضمونَ هذه الجُمْلَةِ يَعُمُّ مضمونَ ما قَبْلَها وغيرَهُ، وفيه الإشْعارُ بأنَّ ما ذُكِرَ مِنَ الجزاءِ، هو بعضُ ما عند اللهِ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/53، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 6/3260.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 8/419.

سبحانَه، فيكونُ ذلك داعيًا إلى الازْديادِ مِنَ الأعمال الصَّالحة، لتحصيلِ الدَّرجاتِ العاليَةِ عند اللهِ ﷻ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الأَجْر، والثَّواب، والجَزاء:

الجَـزاءُ: لمقابلةِ الـخَـيْر والـشَّـرِّ، والأجرُ: لمُقابَلَةِ الـخـير دائـمًـا، والـــثَّـــوابُ: لمُقابَلَته غالبًا

تدلُّ مادَّةُ الأجرِ (الهمزةُ والجيم والرَّاء) على مَعْنَيَيْنِ؛ وهُما: الكِراءُ على العمل، وجَبْرُ العَظْم الكَسير، ويُجْمَعُ بينَهُما: بأنَّ أُجرة العاملِ بمنزلة الشَّيءِ الذي تُجبَرُ بها حالُهُ، فيما أصابَهُ من كَدٍّ في عملِهِ[2]، وأمَّا الثَّواب: فدالٌّ على العَود والرُّجوع، والمرادُ به: ما يعود على الإنْسان من جَزاء عملِه[3]، وأمَّا الجزاءُ: فأصله الغَناءُ والكفايةُ، ويُرادُ به: الكفاية مِنَ المُقابلة؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ[4].

والفَرْقُ بينَها[5]: أنَّ الثَّوابَ يُستعمل في الجزاء بالخَيْرِ غالبًا، واستعمالُهُ في الشَّرِّ أقلُّ. وأمَّا الجزاءُ: فهو المقابلة على الخَيْرِ بالثَّواب، وعلى الشَّرِّ بالعقاب. وأمَّا الأجرُ: فلا يُستعمل إلَّا في النَّفع دون الضُّرِّ، ويتضمَّن معنى المعاوضةِ، فالأجرُ أخصُّ مِنَ الثَّواب والجزاءِ، من جهةِ اختصاصه بالخير، بخلاف الثَّواب والجزاء، فَهُما أعمُّ؛ لجريانِهما في الخير والشَّرِّ، والثَّوابُ أخصُّ مِنَ الأجر والجزاء، مِن جهة أنَّهُ لا يُستعمل في المنافع المادِّيَّة أو الدُّنيويَّة، بخلاف الأَجْرِ والجزاء؛ فإنَّهما يَقَعانِ على المنافع الدُّنيَويَّة، والمنافع الأُخْرَويَّة.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 10/150.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أجر).
(3) القاضي عياض، مشارق الأنوار: (ثوب).
(4) الرَّاغب، المفردات: (جزا).
(5) محمَّد داود، معجم الفُروق الدّلالية في القرآن الكريم، ص: 46 - 48، ومحمَّد ياس الدُّوريّ، دقائق الفروق اللُّغويَّة في البيان القرآنيّ، ص: 164 - 166.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 16 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-12-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 16 : المجلد السادس عشر، سورة الأنفال من الآية 27 إلى سورة التوبة الآية 22.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-12-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9828150 بتاريخ 2024/01/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»